

Des: Aya Reda

# شجرة بلا جذور

مفي محمد عبد الحسن

شجرة بلا جذور - موقع أسرد. [www.asrud.com](http://www.asrud.com)

# " شجرة بلا جذور "

تأليف / منى عبد المحسن

تصميم غلاف: آية رضا

تذكر أنك قرأت هذا على موقع

أسرد - Asrud

شجرة بلا جذور – موقع أسرد. [www.asrud.com](http://www.asrud.com)

كتب موقع أسرد

انشر معنا على الموقع وتواصل معنا

مباشرة

للنشر والإعلان والتواصل معنا»»»»

اضغط هنا»»»»

أسرد للنشر الإلكتروني



ASRUD

للنشر الإلكتروني

## " شجرة بلا جذور "

سنة أشهر مرت على رحيلك يا أمي، كنا قد خططنا للانتقال من بيت العائلة بالاسماعيلية إلى القاهرة أنا وأنتِ بعد وفاة جدتي وبعدها لم يعد المكان يتسع لنا مع ازدياد عدد أطفال خالتي التي لا تجيد شيئاً كالحمل والولادة. كم يصعب على أنني فعلتها وحدي. بالمناسبة إن خالتي حامل للمرة السابعة! ويبدو أن فرحتها كانت كبيرة عندما علمت أنني سأنتقل من البيت وأترك لها شقتنا لتوسع علي نفسها فيها فقررت أنها ستسمي طفلتها على أسمى!

استأجرت شقة صغيرة في حي هادئ على مقربة من المدرسة التي عُينت بها. إن الشقة جيدة بالمجمل، تحتوي على غرفتي نوم وردة كبيرة ومطبخ وحمام حجمهما مناسب لكن يعيبها شيء واحد وهو أن نوافذها تطل على نوافذ الشقة التي تقع في نفس الطابق في البناية المجاورة لكن من حسن الحظ أنها فارغة ولا أحد يسكنها.

كان المكان نظيفاً عندما انتقلت إليه لكنه معيق براحة  
الوحدة والخواء وكان لابد من إضافة بعض اللمسات لأشعر  
فيه بالولفة والدفاً لذا خرجت إلى التسوق. قمت بشراء  
بعض التحف واللوحات الفنية، والطعام، ووزعت الكتب  
على الأرفف والطاولات وكذلك صورنا معاً و زود الصالة  
بأرجوحة معلقة على مقربة من النافذة وغطيته بشالك  
الأخضر الصوفي ليمدني بالدفع ورائحتك الطيبة في ليالي  
الخريف الباردة وأنا أراقب تقلب السحب في السماء  
وزفرات موت أوراق الشجر هكذا سأشعر وكأنني أقرأ في  
حضنك كل ليلة.

...

قُبيل الغروب قمت بإغلاق الباب بالمفتاح والأقفال. تأكدت  
من أنني أغلقت جميع النوافذ ثم دخلت غرفة النوم وأغلقة  
بابها بالمفتاح. مر أسبوع منذ سكنت هذه الشقة ومازلت  
أخاف عندما يقبل المساء، ويتفاقم خوفي أكثر في الليل  
عندما أدخل إلى الفراش لأنام خاصة عندما أتذكر الحكايات  
التي كانت تحكيها جدتي عن الشبح الذي كان يأتي كل ليلة  
يطرق باب شقتها قبيل الفجر وعندما تفتح الباب لا تجد  
أحداً فكفت عن فتح الباب لكنه لم يكف عن العودة في كل  
ليلة والطرق علي بابها. كانت تظن أحيانا أنه كان شبح  
جدي. أضحك عندما أتذكرها وهي تقول بغنج "يؤرقني  
حتى بعد موته". وأحيانا أخرى كانت تعتقد أنه جني يحاول  
دخول البيت لسرقة الطعام وللمبيت في دفاً بيتها. أتمنى لو

شجرة بلا جذور – موقع أسرد. [www.asrud.com](http://www.asrud.com)

أن يتوقف عقلي عن سرد تلك الذكريات المخيفة وأن  
يتحول للتفكير في أمور أخرى فأبدأ بعد الخراف في محاولة  
بائسة للنوم لكن هيهات كيف وظلال الستائر تتراقص على  
الحائط والرياح تطرق على النافذة بإصرار طوال الليل.

...

بدأ العام الدراسي أخيراً، لم أستطيع النوم جيداً الليلة الماضية. كنت قلقة ومتوترة ومتحمسة في الوقت ذاته. بدأت يومي بتمارين اليوجا كالمعتاد واحتسيت القهوة أمام النافذة وأنا أراقب التلاميذ وهم في طريقهم إلى المدارس بملابسهم الجديدة.

...

في المدرسة طرقت باب حجرة المعلمين الذي كان مفتوحاً بالفعل ودلفت، لم يكن هناك في الغرفة سوى معلمة واحدة رمقتني بنظرات استفهام فعرفتُها عن نفسي.

- أنا هدى عبد الرحمن مُدرسة التربية الرياضية الجديدة رحبت بي بحرارة وعرفتني عن نفسها وأفصحت لي عن سعادتها بأنني معلمة أنثى وليس معلم رجل في هذه الأثناء دخل أحدهم إلى الغرفة فبادرت ولاء بالحديث إليه.

- صباح الخير كابتن نديم ثم توجهت بالحديث إلي وهي تشير نحو ذلك المدعو كابتن نديم وعرفتُنا على بعضنا بعض.

- أنتِ هي المعلمة الجديدة. قال وكأنه كان في انتظاري ثم مد يده بالمصافحة بابتسامة عريضة وهو يقول - أخيراً جلبوا لنا من يساعدنا.

شجرة بلا جذور – موقع أسرد. [www.asrud.com](http://www.asrud.com)

مر النهار ببطء مميت، لم أستلم جدولتي وجلست طوال  
النهار أرتشف الشاي والقهوة وأتجول في أرجاء المدرسة  
بلا هدف.

...

كنت ألمع زجاج نافذة الصالون اليوم في جولة تنظيف  
عميقة عندما لاحظت أصص الزرع والزهور على النافذة  
المقابلة ففهمت أنها قد سكنت فتمنيت أن لا يكون الجيران  
الجدد مزعجين أو فضوليين فلا يفصل بيني وبينهما سوى  
مسافة مرتين وبينما أنا شاردة أفكر فتحت النافذة فجأة  
وطل من خلفها شاب عاري الصدر أربكني ظهوره بهذا  
الشكل المبالغ والعاري كأنه قادم من عالم بلا ملابس  
فكدت أسقطت من على السلم الخشبي لولا أنني تمسكت  
بالدرفة في اللحظة الأخيرة. حرق كلانا في الآخر للحظة  
قبل أن أخفض بصري، أنتزع هو المنشقة المعلقة على  
الحبل ثم استدار وأختفى في ظلام شفتيه. تنفست الصعداء  
وقد انتهت إلى أنني كنت أكنم أنفاسي. كان وسيماً رغم  
تجهمه ومريباً رغم وسامته ولديه سطوة غريبة.

...



عندما وصلت إلى مدخل البناية حيث أقطن كان أحدهم قد سبقني إلى المصعد فلحقت به قبل أن ينغلق الباب في سباق مع الزمن، فقد كنت في حاجة ماسة إلى دخول الحمام لكن احساسني هذا اختفى فجأة عندما وجدت نفسي أمام ذلك الجار الجديد.

تفحصت عينايا صدره بدون قصد وكأني أقارن بينه وهو عاري الصدر – بدون حياء مني - وبين النسخة التي تقف أمامي ترتدي قميص أزرق سماوي مثني الأكمام رمقني بنظرة من عينيه الواسعتين وكأنه كشف ما كنت أفكر فيه فأشحت بوجهي على الفور والتصقت بجدار المصعد أحاول منع نفسي من النظر إليه. لكنني لم أستطيع منع أنفي من استنشاق عطره المنعشة الذي يشبه رائحة الصابون فأنصرف عقلي للتفكير في هذه التركيبة الغريبة التي لم تعبر أنفي من قبل. هل هذا عطر أم أنه يستخدم صابون استحمام قوي، أم أنه يعمل في مصنع صابون. توقفت المصعد فجأة قبل أن أجد إجابة لتساؤلاتي ورأيت الزر الذي يحمل رقم خمسة يضيء وكأنه ينبهني إلى أنه علي الخروج الآن فأسرعت بالخروج من المصعد ورائحة عطره ما زالت عالقة بأنفي وعدت للإحساس بمثائتي التي على وشك أن تنفجر.

شجرة بلا جذور – موقع أسرد. [www.asrud.com](http://www.asrud.com)

سألت ولاء ونديم اليوم عن ذلك العطر أثناء الاستراحة ونحن نتناول طعام غداً إن كانوا قد صادفوا من قبل عطر برائحة الصابون. أجابت ولاء بعدما رفعت رأسها إلى الأعلى للتفكير في الأمر للحظة.

- كلا.

أما نديم فتوقف عن مسح الصافرة حيث كان مهوساً بنظافتها وسألني عن سبب سؤالي.

- لقد شممت شيء مشابهاً ولا أدري إن كنت مخطأة.

- نعم هناك عدة عطور بهذه الرائحة.

- أتعرف أسمها.

- أذكر أن ثمة عطر رجالي يدعى براد لوم يحمل هذه الرائحة لكن لا أعرف عطر نسائي بهذا الوصف.

- إذا لم تخطأ أنفي الرائحة. قلت لنفسي ثم كررت اسم العطر كي لا أنساه عندما قالت ولاء ساخرة

- عطر برائحة الصابون، ولماذا يضع أحد عطر بهذه

الرائحة بينما يمكنه فرك ملابساً بقطعة صابون جافة

وسيكون هذا أرخص.

- إنه عطر رائع لو شممتيه ستغيرين رأيك.

- عطر رائع. كررت ولاء بصوتٍ رقيق هائم ساخرة مني ثم

أضافت بلووم وهي تغمز لنديم.

- لا بد أن صاحبه كان رائعاً أيضاً. شعرت بالدم يتجمع في

وجنتي من الخجل وشعرت بالندم ليس على فتحي هذا

الحديث معهما بل لأنني بدأت أتمادى في التفكير في ذلك

الشباب وأسئل عن تفاصيل تخصه فقررت أنني لن أفكر فيه مرة أخرى وإذا التقيته في المصعد لن أدخله وإذا رأيته عبر النافذة سأغلقها.

اشتريت كتاباً وأنا في طريق عودتي إلى المنزل كنت أتصفح صفحاته الأولى أثناء دخولي المصعد وفجأة اخترقت أنفي رائحة العطر المنعشة ذاتها وأنا أضع قدمي في المصعد وما أن أصبحت داخل المصعد حتى ظهر صاحب تلك الرائحة المنعشة خلفي تماماً فأفسحت له مكاناً وانزويت في ركن المصعد بشكل تلقائي حتى لا يتراجع عن الدخول! أعلم أن هذا ليس ما وعدت به نفسي. أغلق باب المصعد علينا فغمرت رائحة عطره كل حواسي فوجدت نفسي أقول بصوتٍ مسموع. - براد لوم. رمقتي بنظرة خاطفة أربكتني بينما يضغط زر الطابق السابع.

من يسكن في الطابق السابع، لا أحد، أذكر أنه عرض علي لكنني فضلت الطابق الخامس. لماذا أصلاً يستخدم مصعد بناءة بينما هو يسكن في بناءة أخرى مجاورة، هل هذا المصعد مشترك بطريقة ما بين البنائيتين؟ كنت أفكر في هذا عندما انتشلتني نظراته المصوبة نحوي من أفكاري فرفعت الكتاب لكي أخفي وجهي خلفه متصنعة القراءة فيه لكن عندما أختلست النظر إليه عبر مرآة المصعد الجانبية وجدته يحرق بغلاف الكتاب قبل أن تلتقي نظراتنا عبر المرآة وسرعان ما فطنت إلى سر تلك النظرة عندما تذكرت عنوان الكتاب. (عابر سرير) أغلقت الكتاب على الفور ودفنت

غلافه في صدري وأنا أنتحن وقد لمحت شبح ابتسامة على شفتيه وربما مثلها على شفتي أنا أيضاً.  
من تكون! تمنيت لو أنه في وسعي طرح هذا السؤال عليه لكنني لم أكن أملك الجرأة لذلك وكذلك الوقت، ففتح باب المصعد واضطرت إلى توديعه ببني وبين نفسي وأنا أمر بمحاذاته وأنصرفت.

...

دخلت فراشي في الحادية عشر مساءً بعدما شاهدت بضع حلقات من مسلسل كوري رومانسي لأهياً دماغياً للنوم بدون التفكير في أشباح جدتي.

إلى اليوم لم يقتحم أحد المنزل ولم أسمع صوت الأثاث يتحرك في الليل من قبل قوة خارقة أو أشباح هائمة ولم يحاول لص واحد اقتحام المنزل، لم يدخل فأر أو خفاش عن طريق الخطأ من النافذة. كلها أمور مطمئنة لولا أنني أشعر بالوحدة والملل كشجرة وحيدة ليست لها جذور تمتد في الأرض ولا أوراق تظل على أحد.

كنت مستلقية على ظهري أحرق بالسقف عندما عبر جاري ذلك الوسيم الطريق إلى ذهني فجأة مبدداً أحاسيس الملل. ماذا يفعل في الطابق السابع كل يوم، لا بد من أن ألحق به غداً خلسة بدون أن يشعر. إن الفضول سيقتنني.

...

عدت اليوم من العمل على عجلة وجدت المصعد في انتظاري ولا أحد فيه انتظرت في مدخل البناية عسى أن أكون قد جئت أبكر مما يجب. صعد المصعد ونزل عشرين مرة وبعد مرور ساعة كاملة من الانتظار استسلمت وصعدت إلى شقتي أشعر بالإحباط والإنهاك والغضب. توجهت فوراً نحو النافذة، فتحتها على مصراعها لأرى إن كان موجوداً في شقته أم لا، أصابني الفرع والحرج عندما رأيته متكأ على حافة النافذة يسقى زرعه ويوشوش الزهور بينما صوت موسيقى صاخبة تأتي من داخل شقته. شعرت برعشة برد تسري في جسدي عندما التقت أعيننا، رمقته بنظرة لوم وغضب قبل أن أوصد النافذة في وجهه. كم أنا حمقاء ما كان يتبقى سوى أن أقول له أنني كنت انتظاره لساعة كاملة وأستفهم منه عن سبب تأخره وكأنني زوجته أو حبيبته ولكنني فعلت ما هو أفضح من هذا، أوصدت النافذة في وجهه وقد أدركت بعدما فعلت ذلك أنه كان على وشك أن يقول شيئاً، أقسم أنني رأيت شفتيه تتحركان، هل كان سيبتسم، هل كان سيلقى التحية؟

...

سألني نديم اليوم عن خطتي لقضاء نهاية الأسبوع بعدما انتهيت من حصتي وأنصرف الطلاب إلى فصولهم تاركين لنا قاعة الرياضة فارغة. إنه شخص لطيف وودود كان يصيبيني بالملل أحياناً من كثرة حديثه عن الحقائق والمعلومات العامة وأحياناً أخرى

يدهشني بالعباب الخفة التي ينفذها بإتقان، كان بارعاً في التلاعب بالورق ( الكوتشينة) لدرجة أن الطلاب كانوا يتجمعون حوله أحياناً ليشاهدون عروضه الطريفة أو المثيرة.

- لا شيء سأعكف على مشاهدة المسلسلات الكورية وأقرأ عدة صفحات من رواية عابر ... عابر سبيل. قلت متجنبة الإحراج الذي يسببه لي أسم تلك الرواية.  
- هل تقرئين للعقاد.

العقاد يا أمي، أنا لم أقرأ يوماً للعقاد لمعرفتي أن له حظاً كبير من اسمه في كتاباته لكنني لم أشأ أن أظهر بمظهر البلهاء التي لا تعرف أسم الكتاب الذي تقرأه لذا لم أنفي ذلك.

- سأقدم عرض ألعاب خفة يوم الجمعة في حفل سيقام في مركز رعاية الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة أتحبين الحضور.

- أتحاول إبهاري. قلت فضحك

- أنا فقط أحب رؤية السعادة في عيون الأطفال. قال فأبهمني أكثر فوافقت على دعوته.

...

في مساء يوم الخميس تلقيت مكالمة من نديم العقاد هكذا كنت قد حفظت رقمه، قال أنه يريد أن يؤكد علي موعدنا غداً ثم أستمرينا في الحديث إلى وقتٍ طويل. تحدثنا في أمور كثيرة، كانت أول مرة نتحدث فيها على الهاتف.

شجرة بلا جذور – موقع أسرد. [www.asrud.com](http://www.asrud.com)

تحدثنا عن الدراما التي يفضلها كلينا وقد أفصح عن أنه هو الآخر يحب الدراما الكورية ومتابع جيد لها.

- أي دراما تفضلين؟

- الرومانسية في الحقيقة، قلت بخجل.

- أحب الدراما البوليسية ودراما الجريمة قال ثم بدأ يسرد

علي أسماء المسلسلات التي شاهدها ويرشح لي مسلسلات أيضاً لمشاهدتها. إلى أن قاطع حديثنا صوت موسيقى

مرتفع صادر من الخارج، كانت الواحدة بعد منتصف الليل

وبدا مشغل الموسيقى وكأنه مثبت أسفل نافذة غرفة النوم.

ذلك الذوق المريع من الموسيقى أعرفه جيداً، أكملنا حديثاً أنا ونديم إلى أن أصبحت الثانية صباحاً ومع ذلك لم تتوقف

الموسيقى.

- أريد أن أنام. قلت بصوتٍ باكاً لنديم ثم فتحت النافذة

والقيت نظرة سريعة على منزل ذلك الوغد، فوجدت أن كل

الأضواء مضاءة والنوافذ مفتوحة.

- سأنادي عليه.

- هل سيسمعك؟ سألني نديم.

- هل أنا أعرف اسمه حتى! قلت ساخرة من نفسي

- هل أبلغ الشرطة؟

- لسنا في سويسرا، لن يكثرثون.

كان الأمر يزداد جنوناً والموسيقى صاحبة لدرجة لا تطاق

خاصة بعدما أنهيت مكالمتي مع نديم ولم يعد هناك أمر آخر

يشغلني سوى شعوري بالنعاس.

غادرة سريري برغم النعاس الذي بدأ يتسلل إلى وارتديت  
سترة فوق البيجامة لتقيني من هواء الخريف الذي يصيب  
عظامي بالألم وخرجت من المنزل.  
كانت غرفة حارس تلك البناية مغلقة ومظلمة لا بد أنه يغط  
في النوم لذا لم أفكر في إيقاظه.  
عندما وصلت أمام باب شقته كانت الموسيقى تصدح من  
خلف الباب وكأنها تفر من الداخل وكأن المكان بالداخل لم  
يعد قادراً على أتحوائها. علفت يدي على الجرس، سمعت  
صوت الموسيقى يُخفّض وبعد لحظات فتح الباب وبرز  
عاري الصدر من خلفه ظل يحرق في وكأنه في انتظار أن  
أفصح عمّ جاء بي إلى شقته. أي حماقة ارتكبت بمجيئي إلى  
هنا، هذا ما كنت أفكر فيه لحظتها.  
تراجعت إلى الوراء ووقفت أمام باب المصعد مباشرة  
- هلا أوقفت هذه الموسيقى من فضلك إنها الثالثة فجراً  
ولست قادرة على النوم بسببها إن الصوت مرتفع للغاية.  
بقيا وجهه على جموده وكأنه لا يفهم حديثي بل لا يراني  
ويدون أن ينبث بكلمة أغلق الباب في وجهي وتركني أطن  
من غيظ كبعوضة أسفل ضوء مصباح السلم. تملكني  
الغضب فضربت الباب بقدمي بقوة وأنا أصيح.  
- من تظن نفسك، أليس لديك ذوق ولا حس بالوقت أيها  
الملعون الغبي. قلت وأنا أضغط زر استدعاء المصعد وقبل  
أن يصل أنطفأ ضوء السلم فأثار الرعب في نفسي لكنني  
حمدت الله على وصول المصعد في اللحظة المناسبة.



شجرة بلا جذور – موقع أسرد. [www.asrud.com](http://www.asrud.com)

...

- هل أنت مجنونة. كان هذا أول شيء قاله نديم عندما أخبرته بما حدث أثناء خروجنا من المركز بعد انتهاء عرضه وقد لاحظ أنني لا أسير بشكل جيد عندما التقينا لكنني طلبت منه تأجيل الحديث عن الأمر لحين أنتهاء عرضة
- كيف تذهبين إلى شقة رجل عازب في وقت متأخر كهذا وبمفردك، ماذا لو تعرض لك بسوء.
- لست أدري كيف أخذتني قدامي إلى هناك، لكنني كنت منزعة جداً.
- لا يجب أن تذهبي إلى هناك مرة أخرى أبداً مهما حدث، أتفهمين. قال نديم يحذرني بجدية مشيراً إلى بسبابته قبل أن يفتح باب سيارته لي.
- كانت تلك أول مرة أرى فيها نديم منزعاً إلى هذا الحد.
- أتدري لو أنه فعل هذا مجدداً سأقوم بإبلاغ الشرطة.
- أنت ساذجة جداً، ماذا تظنين أنهم سيفعلون له، أتدري ما هي عقوبة إزعاج الجيران غرامة خمسة وعشرين جنياً
- ماذا، فقط، ظننت أنهم سيجرونه إلى قسم الشرطة، تَبَأً.
- لكن كيف تعرف هذا.
- إن كان والدك محامي فستجدين نفسك تعرفين الكثير من القوانين والعقوبات.
- والدك محامي، ولماذا لم تلتحق بكلية الحقوق مثله؟
- ألا يكفي أن شقيقي الأكبر أتبع خطاه، لذا كان دائماً الابن المدلل المحبوب الذي يحقق للجميع رغباتهم ويحبه الجميع

بينما كنت أنا الابن الشقي الذي لا يعجب ولا يشبه أحداً من العائلة. اطلق نديم تنهيدة محاولاً تهدأت أنفعاله.  
- فلتعلمي أنني لم ولن أكون أبداً نسخة من أحد حتى لو كان أبي.  
- فهمت يا عم العصبي، فهمنا أنك لن تعيش في جلباب أبيك. أهدأ قليلاً يا كابتن.  
- أنا آسف، لم أقصد قال نديم ثم أدار محرك السيارة وأنطلق. لكنه كان غريباً اليوم لم يكن نديم الذي أعرفه

...

بما أن جميع من في الحي أموات وبما أنني أملك في جببي أكثر من خمسة وعشرين جنيهاً بكثير قررت أن أأخذ بثأري، انتظرت إلى منتصف الليل وصلت الهاتف بمكبر الصوت ووضعت أسفل النافذة وقمت بتشغيل الموسيقى المفضلة لدي ورفعت مستوى الصوت إلى أقصاه. انطلقت مغنية السوبرانو سيسيليا بارتولي صارخة، صوتها يكاد يحطم النوافذ بكلمات إيطالية غير مفهومة بالنسبة لي لكنها تحرك المشاعر والمخيلة وتطرب الأذان ثم جلست على الأرجوحة قرب النافذة أستمتع بذلك الصوت المجنون يملء الكون من حولي وفجأة دوى صوت شيء يتحطم وموجة من شظايا الزجاج اندفعت نحوي جعلتني أنكس رأسي بشكل تلقائي لأحمي وجهي وبقيت مطبقة على نفسي لبضع ثوانٍ إلى أن تأكدت من عدم سماعي لأي صوت آخر وحين استجمعت شجاعتي ومددت عنقي إلى الخلف رأيت زجاج

شجرة بلا جذور – موقع أسرد. [www.asrud.com](http://www.asrud.com)

النافذة محطم ولمحت ظل جاري ذلك من خلف ستائر نافذته  
وهو يسير مبتعداً عن النافذة.  
قفزت من فوق الكرسي وحملت مزهرية من على طاولة  
جانبية وكدت ألقى بها على نافذته لم يكن الأمر صعباً لكنني  
تذكرت تحذير نديم، أنا وحدي وربما لو فعلت هذا لتفاقت  
الأمور أكثر لذا اكتفيت بأنني نجحت في إزعاجه جعلته  
يذوق من نفس الكأس وفي ليلة باردة وهادئة كهذه أظن  
أنه من الأفضل للمرء أن يتدثر جيداً وينام.

...

ألم بي اليوم ألم حارق بالمعدة وألم خائق في صدري  
وانتشر نحو ظهري وأكتافي وبدأ العرق ينز من جبيني  
شعرت بالفزع إلى جانب الألم أيضاً فكرة في أنه ربما أكون  
قد أكلت شيئاً مسموماً وأنني سأموت. أتصلت على الفور  
بولاء وما أن سمعت صوتها حتى بكيتُ فأخبرتني بدون أن  
تفهم تماماً ما هي مشكلتي أنها في طريقها إلي. جلست  
أتلوى فوق الكرسي دافئة رأسي بـشالك الأخضر وأنا أتأوه  
بصوتٍ مرتفع ومرتعش من شدة الألم. كم تمنيت لو كنت  
هنا.

لكن الجلوس لم يزيدني إلا ألماً واختناقاً ففتحت النافذة  
مستجديه المزيد من الهواء أرتميت على حافة النافذة أكاد  
أعض الخشب من الألم.

سمعت صوت النافذة المقابلة تفتح وطل منها جاري ذلك  
أردت أن أدخل لكنني لم أستطيع حتى التحرك بشكل سريع.  
- هل أنت بخير؟ سألني بدون تردد.

فأومأت برأسي والألم يعتصرني وأنا أحاول فرد ظهري.  
سأطلب لك الطبيب. قال وأختفى من أمام النافذة دون أن  
يمنحني فرصة للرفض. بعد ما يقارب العشرة دقائق سمعت  
صوت طرق على الباب، توقعت أنها ولاء لكنني فوجئت  
برجل بدا من حقيبته وهيئته أنه طبيب ومعه مساعدته  
لكنهما كانا بمفردهما، ساعدتني المساعدة على دخول غرفة  
النوم والتمدد على السرير وبدأ الطبيب بفحصي، بأعجوبة

أستفسر مني الطبيب عن حالتي بينما تعد مساعدته حقنة مسكنة.

بدأ بالكشف علي وكان الألم قد هداً قليلاً، ضغط بيده مواضع الألم المحتملة إلى أن صرخت متألمة عندما ضغط بيده فوق معدتي. حثني الطبيب على الجلوس. وعلمت منه أنني مصابة بميكروب في المعدة بسبب الوجبات السريعة التي كنت أتناولها في الفترة الأخيرة. غادر الطبيب ومساعدته تاركين لي روصة الدواء المؤقت والتحليل الذي علي إجراؤه للتأكد من كنهة ذلك الميكروب. خرجت في إثرهما أبحث عن جاري ذلك أمام النافذة لكنني لم أجد له أثر ولم أفهم سبب عدم مرافقته للطبيب على الأقل كنت شكرته على صنيعه وفي هذه الأثناء وصلت ولاء أخيراً ولاعتنت بي طوال اليوم إلى أن أطمأنت أنني أصبحت بخير.

...

أخيراً ظهر اليوم التقيت به يقف في النافذة يسقي زهوره ونباتاته.

- صباح الخير. قال عندما لاحظني فحدقت به للحظة لأستوعب ثم رددت عليه التحية.
- كيف حالك اليوم. سألني
- أفضل، أردت أن أشكرك بالأمس لكنني لم أجد لك أثر، لا أعرف ماذا أقول لك.

- لامشكلة يمكنك أن تشكريني الآن. قال ثم ضحك وأضاف أنه يمزح ثم قال بجدية هذه المرة.
- لو أنني كنت في مكانك أظنك كنت ستساعدني أيضاً، أليس كذلك.
- في الحقيقة لست متأكدة. قلت مشيرة بنظري ويدي نحو النافذة المحطمة على يساري فأوما برأسه في حرج وقد فهم ما أرمي إليه.
- أنا آسف أعلم أنني أسبب لك المشاكل منذ انتقلت إلى هنا، لكن يمكننا دائماً أن نصنع بدايات جديدة. أخبريني هل أنت متفرغة هذا المساء.
- لماذا ؟
- أريد أن أعتذر لك ونتعرف بشكل مناسب.
- فكرت في حديثه ولم أنبث بكلمة.
- أراك إذا في السابعة مساء.
- أين؟
- أنتظريني فقط فوق سطح البناية.
- رمقته باستغراب فقال ينبهني.
- يجب أن تغادري الآن، وإلا ستتأخرين.

...

في تمام السابعة مساء كنت أقف فوق سطح البناية كما طلب مني يصفعني الهواء البارد والنجوم تتلألأ في سماء

شجرة بلا جذور – موقع أسرد. [www.asrud.com](http://www.asrud.com)

المساء، كان يوماً صافياً يلقي القمر بنوره على الأرض  
فيضيأها رغماً عن أنف المساء.  
لاحظت أن سطحي وسطحه متساويين وتمتد بينهما عارضة  
خشبية. صعد هو الآخر على سطح بنايته بعدي مباشرة  
وعبر فوق تلك العارضة بكل سهولة وخفة بينما تجمدت في  
مكاني أحملق به وهو يسير معلقاً في الهواء إلى وصل إلى  
ثم مد ذراعه لي يدعوني للصعود على العارضة، نظرت  
إليه ببلاهة.

- هيا، كوني شجاعة.  
أمسكت بيده وأنا مذهولة ولا أصدق نفسي ولا يدي التي  
أمتدت إليه وأمسكت بيده. سرنا معاً على العارضة الخشبية  
نحو سطحه.

- أنا خالد. قال وهو يسير أمامي معرفاً عن نفسه ثم أنتظر  
أن أعرف أنا الأخرى عن نفسي لكنني كنت خائفة أرتعد  
معلقة على ارتفاع حوالي ثلاثين متراً في الهواء أسير على  
عارضة خشبية تتسع لقدم واحدة.

- هـ..هـ...هدى. قلت أخيراً.  
هبط هو أولاً ثم ساعدني على الهبوط فوق الأرض الصلبة.  
كانت ركبتاي تصدمان ببعضهما من فرط الإثارة والرغبة.  
نظر إلى وضحك ثم قال.

- يمكن للمرء فعل العجائب لو توقف عن التفكير في  
المخاطر.



شجرة بلا جذور – موقع أسرد. [www.asrud.com](http://www.asrud.com)

- أعتقد أنه لو توقف الناس عن التفكير في المخاطر  
لأنخفض عدد سكان العالم إلى النصف. قلت معارضة  
فكرته.

جلسنا فوق مفرش كان مثبت جيداً بالحجارة من جميع  
الاتجاهات تحيط به عدد من الفوانيس المضاءة التي لم أرى  
مثلاً من قبل وثمة فنجانيين من القهوة الساخنة في  
انتظارنا.

تعرفنا أكثر على بعضنا بعض، وتحدثنا عن الطعام والعمور  
والموسيقى والزراعة والكتب، لم يكن قد قرأ للعقاد ولا  
لأحلام مستغانمي لكن كلانا قرأ لنجيب محفوظ.  
ولم يكن معجباً بالأوبرا ولا كنت معجبة بالميتال لكن كلانا  
كان يحب نجاة، خاصة أغنية عيون القلب وما أن أكتشفنا  
ذلك حتى قمت بتشغيلها على الهاتف لنسمعها سوياً، لطالما  
كانت أغنية رائعة لكنها تحت ضوء القمر في وجود  
شخص تشعرين نحوه بالانجذاب ويبدو هو مهتماً بك كانت  
قاتلة.

أبدت له أعجابي بالزهور التي يزرعها على نافذته وسألته  
عن أسمها فأخبرني أنها تدعى الكاليندولا.  
- هذه ليست أول مرة تستخدم فيها ذلك الجسر الخشبي  
ليس كذلك.

- هذا حقيقي

- أكنت تعبر من فوق سطح بنايتنا إلى هنا عندما كنت  
تستقل مصعد تلك البناية؟  
أوماً بالإيجاب.

- لماذا؟

- أتريدين معرفة كل شيء في جلسة واحدة! وعلى ما يبدو كانت تلك دعوة للقاءات أخرى لذا لم أصر عليه حتى لا أفوت علي فرصة لقاء آخر.

...

كنت أدندن اليوم كلمات من أغنية نجاة وأنا أجهز حقيبتني لمغادرة غرفة المعلمين في نهاية اليوم الدراسي عندما أغلق نديم الباب بعد دخوله الغرفة ودعاني للخروج معه لتناول العشاء لكنني رفضت متحججة بأنني متعبة هذه الفترة ولا أقدر على الخروج بعد العمل.

لست مغفلة أعلم أن لديه مشاعر تجاهي وكنت أخشى من أنه كان يخطط للبوح لي بمشاعره تلك، لكنني لم أكن أعلم أنه مُصرّاً جداً لذا تجاوز المكان والزمان وقرر أن يخبرني لحظتها بما كان يريد.

- لما أشعر أنك تتهربين، أظن تدركين جيداً أنني معجب بك. أشحت برأسي عنه.

- أتسأل إن كان هناك أحد في حياتك. سألني بقلق.

- نوعاً ما. أجبته على استحياء فابتسم بحزن وهز رأسهم متفهماً وكاد أن يقول شيئاً لكن الباب فتح فجأة ودخلت ولاء فانتهزت الفرصة وغادرت الغرفة هرباً من أي محاولات أخرى.

...

شجرة بلا جذور – موقع أسرد. [www.asrud.com](http://www.asrud.com)

ما فعله نديم اليوم جعلني أتشجع لمصارحة خالد بمشاعري نحوه. وفي لقائنا الذي أصبح عادة يومية فوق سطح بنايته كنا نجلس متقاربين ويلفنا شالك الأخضر باعاً فينا الدفا.

- أظن أنها ستمطر الليلة؟ سألته وأنا أتأمل السماء الملبد بالغيوم.

- لست أدري أجابني وهو يتأمل الغيوم أيضاً.

اختلست النظر قبل أن اطرح عليه سؤالي

- أهنك امرأة في حياتك؟

ابتسم باستغراب ثم أجاب

- ساكون كاذباً لو قلت لا.

- من هي. سألته معتدلة في جلستي ملتفة نحوه فأستدار

هو الآخر وجلسنا متقابلين.

- هما، إنهما اثنتان لكن لماذا تسألين.

- أتحاول إخباري أنك دنجوان. سألته ساخرة فضحك وكان

لضحكته رنة مميزة رغم ندرة حدوثها.

أخذت نفساً طويلاً ثم قلت.

- سألتك لأنني معجبة بك وأعتقد أنني وقعة ف حبك.

أطال النظر إلي رافعاً حاجبيه ثم قال لي

- أنت لا تعرفيني إلا منذ وقت قريب.

- هل تحبني. سألته مقاطعة حديثه. نظر إلى عيني مباشرة

بعينه الرماديتين.

- هدى، أنا هنا بشكل مؤقت، وقريباً سأرحل.

- ترحل، إلى أين؟

وكعادته قال أنني لا يجب أن أعرف كل شيء اليوم ثم وقف  
ومد يده إلي ليساعدني على الوقوف.  
نظرة إلى عينيه مباشرة وأبقيت على يده بين أصابعي.  
- على الأقل أجبنني، هل تحبني؟  
وكعادته لم يمهلي فرصة للرفض أو حتى للتفكير و باغتني  
بقبلة رقيقة علي شفتاي قبل أن يجذبني من يدي لنعبر  
سويًا فوق العارضة الخشبية إلى سطح بنايتي ويتركني  
هناك ويرحل كأنه يهرب من شيء ما.

...

كنت على وشك الدخول إلى غرفة النوم أمس عندما سمعت  
صوت شيء يتحطم آت من الخارج، تحديداً من شقة خالد.  
ركضت نحو النافذة وفتحتها فإذا بأضواء الشقة مضاءة  
والنافذة مفتوحة والهواء يكاد ينتزع الستائر من مكانها  
متيحاً لي فرصة لرؤية ما يدور بداخل الغرفة. رأيت رجلان  
يقفان خلف النافذة لم يصعب على تميز خالد بينما حجبت  
الستائر عني رؤية الآخر عاد أنني رأيت ذراعه الموشوم  
بصورة رجل يرتدي تاج ملكي وهو يمتد من خلف الستائر  
حاملاً بين أصابعه مسدساً مصوب في اتجاه خالد وبدون  
مقدمات أو لحظة تفكير اطلق الرصاص عليه.  
ثقب صوت الطلقة أذني ورأيت جسد خالد ينهار قبل أن  
يبيدي أي مقاومة. كتمت صرختي بيدي، أخفتي القاتل من  
مرمى بصري متجهاً نحو الباب، حملت نفسي على الفور  
وخرجت من المنزل حافية ببيجامة النوم، هبطت إلى

الشارع وتوجهت مباشرة نحو البناية التي يقيم فيها خالد.  
أوقفني الحارس يسألني عن سبب هرعي إلى الداخل.  
- دعني، يجب أن أساعده. قلت للحارس الذي أمسك بي.  
- ابتعدي من هنا يا آنسة من الذي تريدين مساعدته  
- خالد، لقد اطلق عليه رجلا الرصاص، الآن ألم تسمع  
صوت الطلقة.

- ليس هناك أحد يسكن هنا اسمه خالد، كفي عن جنونك  
هذا وأبتعدي من هنا. قال الحارس ثم دفعني بقوة فسقطت  
على الأرض فأنحنى نحوي بسرعة يحاول مساعدتي على  
الوقوف. لكن بدأ أخرى سبقته إلى، كان رجلاً في عقده  
السادس تقريباً. سحبني لأقف وهو ينهر الحارس ثم سألني  
عن سبب نزولي إلى الشارع بهذا المظهر فسبقتني الحارس  
وتلى عليه ما قلت له قبل لحظات.

- لكن يا أبنتي ليس هناك أحد يسكن في الطابق الخامس أنا  
اسكن في الطابق الرابع والشقة التي تتحدثين عنها غير  
مسكونة منذ ثلاثة أشهر.

صحت به غير مصدقة حديثه.

- لماذا تكذبون علي، هل أنتم متواطئون مع القاتل، أقول  
لكم أن هناك شخص قُتل وأنني رأيته بأمر عيني أنا لست  
مجنونة.

حاول ذلك الساكن تهدئتي لكنه أشفق علي أخيراً وطلب من  
الحارس مرافقتي إلى الطابق الخامس لمعاينة الشقة بنفسي  
لأتأكد من أن أحداً لا يسكن فيها.

أعترض الحارس في أول الأمر لكن الساكن أقنعه وقال أنه سيرافقنا. سبقتهما نحو المصعد وصعدنا ثلاثتنا إلى الطابق الخامس، أشرت له نحو الباب، هذه الشقة.

رمق الحارس ذلك الرجل بتردد ثم أخرج مفتاحاً من جيبه وقام بدسه في فتحت الباب وفتح الشقة.

اندفعت إلى داخلها فتخطت في الظلام قبل أن يضيء الحارس الضوء.

دلفت إلى الغرفة التي رأيت فيها خالد يقتل، أضأت النور وجلت ببصري في المكان باحثة عنه، لكنني لم أجد أحداً.

لكن النافذة كانت مفتوحة بينما لم تكن أصص الزرع ولا أزهار الكاليندولا موجودة هناك، كما لم يكن هناك أي أثر لخالد أو لجثته إن كان قد مات.

- هل صدقتي يا أبنتي أنه لا يوجد أحد هنا. قال الساكن

بينما أندفع الحارس نحو النافذة وأغلقها وهو يتمتم بكلمات غير مفهومة.

خرجت من الغرفة وأخذت جولة سريعة في أرجاء الشقة أبحث عن أي أثر له أحاول أتبع أي أثر يأخذني إليه لكنني لم أجد شيئاً.

- يكفي هذا. قال الحارس ثم أشار نحو الباب.

- والآن أخرجني من هنا ودعيني أعود لعملي، لو علم

صاحب الشقة أنني أدخلتك إلى هنا سيؤذيني في عملي.

أقترب مني الساكو وقال بحنو.

- هل أنت بخير يا أبنتي.

انهمرت دموعي على وجنتاي وكدت أسقط أرضاً لولا أنه ساعدني على الوقوف. خرجنا من الشقة بأمر من الحارس المتعجلة المتأفف، ولم يتركني إلى وأنا خارج المبنى. عدت إلى شقتي وأنا لا أفهم تماماً ما حدث، وقفت أمام النافذة أسترجع ما رأيت. أحاول إيجاد حل لهذا اللغز. - ربما لم يكن أحد يعلم بأن خالد يسكن هذه الشقة لذا كان يستخدم مصعد بنايتنا ويمر من فوق السطح ويهبط إلى شقته. أما ما حدث قبل قليل فهو أن القاتل اطلق الرصاص على خالد وهرب قبل أن يتأكد من موته وخالد ربما يكون قد هرب هو أيضاً، لكن أين اختفت أصص الزرع، هل اخذها معه، ولماذا سيأخذها لابد أنه كان ينزف، ولماذا لم يسمع أحد غيري صوت الرصاص، والنافذة، من الذي كسر النافذة إن لم يكن خالد موجوداً، والطبيب من الذي أحضره إلي في ذلك اليوم عندما أصبت بوعكة صحية، خرجت من المنزل مرة أخرى وصعدت إلى السطح أبحث عن العارضة الخشبية التي كانت معبر لكلينا فلم أجد شيئاً. وذلك الوشم يجب أن أعثر على صاحب ذلك الوشم هو الوحيد القادر على تفسير الأمر لي، لكن كيف وأين ساجده. لست ادري انا مشوشة وضائعة وخائفة.

ثلاثة أشهر مرت منذ ذلك الحادث الذي لم أجد له تفسير  
ومازال عقلي مشوشاً يتأرجح بين ما هو حقيقي مر وما  
هو خيالي لا يصدق.  
دعاني نديم إلى حفل عيد ميلاد ابنة شقيقه المقام في بيت  
العائلة فذهبت عسى أن أجد عزائي في الإختلاط بالبشر مرة  
أخرى. أخذت معي دمية وأهديتها للفتاة التي بلغت ستة  
أعوام.  
عرفني نديم أولاً على أفراد أسرته كانوا ودودين جداً  
ولطفاء ثم أخذني في جولة لرؤية البيت.  
- أنا سعيد لأنك لبيت دعوتي. قال ونحن نخرج إلى الحديقة  
الخلفية.  
- إن عائلتك لطيفة جداً. يبدو أنك تحب ملك كثيراً، أحسدها  
لأن لديها عم مثلك، خاصة بعدما فقدت والدها  
- في الحقيقة لست واثقاً إن كان هذا أمر جيد أم سيئ.  
- لماذا؟  
- إن فكرة الزواج من جيهان للإبقاء عليها معنا والإبقاء  
على ابنة أختي لتكبر بيننا تسيطر كثيراً على والدي.  
- ربما هما لا يريدان فقدان ما تبقى لهما من رائحة أخيك.  
أكمل نديم حديثه.  
- لكنني أخبرتهما أن ثمة فتاة في حياتي وأنني قريباً  
سأعرفهما عليها، وأتمنى لو أنها توافق. اكتفيت برسم  
ابتسامة محايدة وكنت أفهم ما يرمي إليه.  
أنحني نديم فجأة وصعد بحركة رشيقة ثم قدم إلى زهرة  
برتقالية.



- كاليندولا. قلت وأنا أحملها من بين أصابعه.
- أتعرفينها.
- كان. انتبهت إلى أنني كنت سأذكر خالد فصمت خفت أن تغلبنى دموعي أو أن أسهب في الحدث عنه، ولم يكن نديم على علم بشيء يخص خالد فلم أخبر أحد بما حدث خشيت أن يتهموني بالجنون.
- حمل نديم الزهرة برفق من بين أصابعي وقام بدسها بين خصلات شعري وقال مازحاً.
- الكاليندولا تليق بك.
- فتح نديم باب أحد الغرف وسمح لي بالدخول أولاً ثم تبعني.
- وهذه هي غرفتي المتواضعة.
- متواضعة إنها بحجم الشقة التي أعيش فيها، أنت هو المتواضع. قلت وأنا أخطو بداخل الغرفة فضحكنا.
- تبدين جميلة عندما تضحكين، قال نديم فأطرقت برأسي في خجل فمد أصابعه نحو ذقني ورفع رأسي نحوه فسرت في جسدي قشعريرة ليست ناتجة عن لمسته لي بل عن مفاجأتي عندما وقع نظري على تلك الصورة الموضوعة على مكتبه، كان خالد برفقة نديم على شاطئ البحر حملت الصورة بتلقائية مدققة النظر فيها.
- من هذا؟
- هذا أنا وخالد شقيقي هو الذي كان يستخدم عطر برادا لوم لذا عندما سألتني عنه أجبتك.
- خالد... شقيقك!
- نعم.

شجرة بلا جذور – موقع أسرد. [www.asrud.com](http://www.asrud.com)

- أين هو؟
- لقد أخبرتك قبل يومين أنه مات اليوم سيكون قد مر على وفاته عام وثلاثة أشهر.
- أقشعر جسدي وأندفع الدم إلى رأسي ودارت الدنيا من حولي فارتيمت على الكرسي وسقطت الصورة من يدي.
- أنحنى نديم وحملها وهو يسألني إن كنت بخير.
- حددت به اللحظة كنت بالكاد أراه وبالكاد أسمع صوته. خرج صوتي من حنجرتي مختنقاً بعد جهد.
- كيف مات؟
- إنها قصة طويلة.
- أود معرفتها.
- وجدناه مقتولاً في شقته، كان حادث بشع، أفادت تحقيقات الشرطة أن هدف القاتل كان السرقة وأنه عندما فوجأ بخالد في الشقة اطلق عليه الرصاص لكنهم لم يستطيعوا القبض عليه وعلى هذا أغلقت القضية.
- هذا مستحيل.
- ما هو المستحيل. سألني نديم وهو يعيد الصورة إلى مكانها على المكتب فكشف كم قميصه المثنى عن وشم على بطن ذراعه لم اللحظة من قبل، كان عبارة عن ماسة يعلوها تاج ملكي ولم يكن وجه رجل يرتدى تاج ملكي كم ظننت.

تمت.

شجرة بلا جذور – موقع أسرد. [www.asrud.com](http://www.asrud.com)

# شجرة بلا جذور



كان المنزل نظيفاً  
عندما انتقلت إليه  
لكنه معبق برائحة الوحدة والخواء